نُعْمى وجَدُّها.. والشِّعْر

قَـرأْتك «نُعـمـايَ» في نَشـوةٍ
وعَـوَّذْتُ طَلعَـتَكِ السَّـاحِـرَهْ
وقَـدْ زانَهـا.. زادَ إشـراقَـهـا
تَجَلِّيكِ في الحُلَّة السَّـاتِرَهْ
وكَمْ في «لبـاسِ التُّـقى» والنَّقـا
جَـواذِبُ تَفْـقِـدها السَّـافِـرَهْ
فَـبُـورِكَ نَهْـجُكِ يا «دُرَّتي»
ونـاغَـمَ «مَـكـنـونُـهُ» ظـاهِـرَهْ

***

وأمّـا طُمـوحُكِ: أن تُصـبـحي
كـجـدِّكِ يا مُنيـتي شـاعـرَهْ
فـهَـلَّا تـروَّيتِ يا طِفْلَتي
مُناكِ.. البـدايةَ والآخـرَهْ
ففي الشِّعْـرِ شَـوْقٌ وذَوْقٌ... أَجَلْ
ولِلشِّـعْـرِ مَنـزلةٌ بَاهِـرَهْ
ولكنَّـهُ الشَّـوقُ، أنفـاسُـهُ
مِنَ الشَّـوكِ والغُـصَصِ الغـامِـرَهْ

وأذواقُـــهُ - ودروب الشّـــذا
مـعـارجُـهـا - بالقـذى زاخـرهْ[١]
ومَنزِلةُ الشِّـعْـــرِ أبراجُـــهـــا
عَـــوالٍ، ولكنَّهـــا فـــاقـــرهْ[٢]
فـــلا بُدَّ للشـــاعـــر الحقِّ مِنْ
مُكابَدَةٍ مُـــرَّةٍ صـــابرهْ
وهِمَّـــتُـــهُ - وهمـــومُ الدُّنا
جُـذَاها - مُـعـاناتهـا قـاهِرَهْ[٣]
وعِـفَّـتُـهُ - وهو صبٌّ السنا -
كـوابِحُـهـا للهـوى جـائرَهْ

* * *

وللشـــعِّـــر يا «نُعْمُ» أرْبابُهُ
فـــئـــاتٌ، وكلٌّ لَهُ دَائِرَهْ
فَـقَـوْمُ الغَـوايَةِ أتبـاعُ مَنْ
يَمينُ، هُمُ الفِـئَـةُ الفَـاجِـرَهْ[٤]
وأهْلُ الهِـــدَايةِ، دُنيـــاهُمُ
وأخـــراهُمُ جَنَّةٌ نـاضـــرَهْ

(١) القذى: القذاة قشة تصيب العين فتؤذيها
(٢) فاقرة: تقصم فقرات الظهر.
(٣) جذاها: الجذى: جمع الجذوة.
(٤) يمين يكذب (من المَيْن وهو الكذب)

وأُســـــرتُهُمْ أُمَّـــــةٌ وَحْـــدَها
وإيمـانُهُمْ بَيـنَـهمْ آصـــــــرَهْ
لهـــا تَبِـعـــاتٌ جِـســـامٌ وفي
تضـــامُنِهِمْ طاقـــة قـــادرَهْ
فلَو أَنّهمْ مـــارســـوا ذاتَهُمْ
لَـكـانـتْ لـهـم دَولـةٌ ظَـاهِـرَهْ
ولكنّ تفـــرَّقَ أَشـــتـــاتُهُم
وأَبْحَـــرَ كُلٌّ على بَاخِـــرَهْ
وكَمْ في الـرَّبـابـنِ مِنْ جَـــاهـلٍ
وكَم في البـــواخِـــر من سَـــادرَهْ
تَشُقُّ الـعُـــبـــابَ بلا مَنْهَجٍ
وتَقْـحَمُ أثبـاجَـهُ مـاخِـرَهْ[1]
ويَخـدَعُـهـا البَـحـرُ في وَثْبِـهِ
وشَـمْـخَـةِ أمـواجِـهِ الثـائرَهْ
فتحسبها جبلاً راسياً
وتَركَبُ قَـفْـزَتَهُ البـائرَهْ[2]
وقـــد فـــاتَهـــا أنّهـــا كَـــرَّةٌ
غُـثـاءٌ لهـا فـرَّةٌ حـاسـرَهْ

(١) أثباجه: الثبج: عرض البحر.
(٢) البائرة: الكاسدة الخاسرة.

وكم يُهلِكُ البَحرُ ركّابَهُ
ويُلقي بهم في شَفا حافرَهْ[١]
ولو قدَّروا قبل إقدامهمْ
لأقدامِهمْ خطَّةً صابرَهْ
لكانوا استبانوا سبيل العُلى
وكانتْ معاقلُهُمْ ظافرَهْ
فكمْ في الحياة حظوظٌ لنا
نُضَيِّعُها بالخُطا السّادرَهْ
ونُوهِمُ أنفُسَنا ضِلَّة
بأنّ الحُظوظَ هي العَاثرَهْ!

***

هو الشِّعر يا «نُعمُ» نُورُ اللَّظى
إذا الشرُّ هاجَتْ له نائرةْ[٢]
فقد يوقفُ الشعرُ روّادهُ
مواقف أسيافُها شاهِرَهْ
وللشاعر الحرِّ إشراقُهُ
وأخلاقُهُ الفذةُ الزاهرَهْ
علوٌّ.. سموٌّ.. نبوٌّ عن
الأساليبِ مائعةٍ حائرَهْ

(١) حافرة: شفا الحافرة: حافة الهاوية.
(٢) نائرة: هائجة.

وللشَّـاعِـرِ الحـرِّ إقـدامُـهُ
البـصـيـرُ إذا دارتِ الدائرَهْ
فَـوَقـفَـةُ عـزمٍ بوجـه الظَّلومِ
الغَشُـومِ وطُغْـمَـتِـهِ الكافـرهْ
وخَـوْضُ الجـهـادِ بقلْبِ الـزَّعـازع
والرَّوْعُ أشـداقُـهُ فـاغـرهْ
ونُصـرَةُ دين الهُـدى، والفـدا،
وضَـرْبُ العِـدا ضـربةً كـاسـرَهْ
وقَـدْ يُورد الشَّـعـرَ أقطابَهُ
مَـوارِدَ أَخْـطارُهـا بـاتـرَهْ
ولا ضَـيـرَ فـالموتُ حَـتْمٌ ولا
مَـناصَ، وآجـالُـهُ آمـرَهْ
ومَنْ عـاشَ والنِّيـرُ في عُنْقِـهِ
يُتـاجِـرُ في صَـفـقـةٍ خَـاسـرَهْ
ومَنْ لَقِـيَتْ رُوحُـهُ رَبَّهـا
شـهـيـداً، فـقَـدْ غَنِمَ الآخـرَهْ
ومَنْ يَنصُـرِ اللّه دالَتْ له
مِنَ اللّهِ أقـدَارُهُ النَّاصـرَهْ

* * *

لقد هِجْتِ يا «نُعمُ» ستين عاماً
مِنَ الشِّعْرِ، غامَتْ مِنَ الذّاكِرَهْ
فَعاوَدَ جدُّكِ أيامَهُ
ورَدَّدَ: خاطرةً... خاطِرَهْ
وعاشَ الفُتونَ... وعاش الشُجونَ
وعانَقَ حاضِرُهُ غابِرَهْ
وقَوَّمَ مَرْدُودَ آلامِهِ
وآمالِهِ واليَدَ القاصِرَهْ
فكم ذا.. وكم ذا.. بكى واشتكى
إلى اللّهِ غُرْبَتَهُ الجائرَهْ
يكابِدُها وحْدَهُ صابراً
وما مِنْ أنيسٍ ولا سَامِرَهْ
فأَسْرَتُه بعشَرَتْ شَمْلَها
الصُّروفُ، وأحوالُها مائرَهْ[1]
وأَمَّتُهُ بأْسُها بينَها
تُلاينُ أعداءَها صاغِرَهْ
وعُصبَتُهُ في صِراعٍ سدىً
ولوْ عَقَلَتْ كانتِ الظّافِرَهْ

(١) مائرة: مضطربة.

وأَغـــلالُهُ ملء ســـبـــعـــيـنِهِ
تؤجِّجُ أعـــمـــاقَـــهُ الغـــائرَهْ

***

هو الشِّـــعـــرُ «نُعـــمـــايَ» هذا وذا
أَفـــانينُ ضَـــامِـــرَةٌ... عـــامـــرَهْ
فـــفـــيـــهِ الوُعَـــاةُ وفـــيـــه الدُّعـــاةُ
وفـــيـــه المعَـــرْبِدُ والقَـــاهِرَهْ
وفـــيـــه الصَّـــدوقُ وفـــيـــه الكَذوبُ
وفـــيـــه الوَفـــيَّـــةُ والغـــادرَهْ
مَـــعـــادِنُ كـــالنَّاس أنفـــاسُـــهـــا
صُنـوفٌ ومـــا كُلُّهـــا طاهرَهْ
فَمِنْها النَّفيسُ ومنها الخَسيسُ
وكلٌّ لأَرْواحِـــهـــا ناشـــرَهْ[1]
فـــفي شُـــعـــراءِ الهُـــدى نَفْـــحَـــةٌ
مِـــنَ الـــوَحْـــيِ نَـــيِّـــرةٌ نـــادرَهْ
وفي شـــعـــراء الهَـــوى لَفـــحَـــةٌ
من النَّار لَســـعَـــتُـــهـــا هابِرَهْ[2]
ولِلشِّـــعْـــرِ في كُلِّ أحـــوالِهِ
لَـــذَاذَاتُـــهُ.. ولـــه نـــاقِـــرَهْ

(١) أرواحها: روائحها.
(٢) هابرة: قاطعة.

فـمَنْ عَـشِقَ الشِّـعْـرَ يَرضَى بهِ
ويألَفُ جَـمْـحَـتَـهُ النافـرَهْ
فـيـا «نُعمُ» مـالَكِ والشِّـعـرُ يا
حَـبـيـبـةَ جَـدِّكِ يا «شـاطرهْ»
نصـحـتُك علمـاً به فـاسلكي
سـبـيلَ الجَـدا وارأبي سـاهرَهْ[1]
فـإنّ المُعـوَّل أنْ تسـعـدي
أشـاعـرةً كنت أمْ ناثرَهْ
ومـا السَّـعـدُ إلاَّ رضـا اللّه في
الحـيـاتَيْن: دُنيـاكِ والآخـرَهْ
فـهـذا هُو الهَـدَفُ المرتجى
ولا خـيـرَ في الضـجَّـةِ الهـادرَهْ
وأمّـا أنا فكثـيـرُ الذُّنوبِ
كـبـيـرُ العـيـوبِ بلا باصـرَهْ
ولستُ المثـالَ الّذي يُحـتـذى
ولَيْـسَتْ تُشَـدُّ بي الخـاصـرَهْ
فـأَسـأَلُ ربّي - وفي قَلْبِ ذَنبي -
مـزيداً من الرّحْـمـةِ الغَـافـرَهْ

(١) الجدا: العطاء والخير.

وإنّي لأَحْـــمَـــدُهُ ذاكـــراً
مـدى العُـمْـرِ أفـضـالَهُ الغـامـرَهْ

* * *

«أنعـمـايَ» فـجَّـرْتِ بي زفـرةً
مِنَ الشِّـعـرِ فـانبـجـستْ فـائرَهْ
ولـولا حـــديثُك عنّي انطوتْ
بـصَـــدْري مَكْنُونَـةً غـــائـرَه
لقَـــدْ كُنْتِ بادرتي في النَّجـــا
وكـــلُّ انـــطـــلاقٍ لـــه بـــادرَهْ[1]
وإنّي لـ «ســيّـدتي» شـاكـرٌ
كـمـا أنت لي ولهـا شـاكـرَهْ

شاطئ الهرهورة (قرب الرباط)،
١٤ من المحرم ١٤٠٧ هـ
١٩٨٦/٩/١٩ م

(١) النجا: النَّجاء: المناجاة.

obeikandl.com